تربية الأبناء [1]بين المصادقة والمعاقبة

علاقـة الأبوين بالأبناء ينبغي أن تقوم على دعامتين أساسـيتين هما الحب والحكمـة، والحب يشـمل الحنو والرعاية والعطاء، والحكمة تشمل الفهم السليم في ممارسة كل من عناصر المعاملات مع الأبناء.

* ونحن ننصـح في تربيـة الأبناء أن تبـدأ بعلاقة من الصداقة بينهما وبين أبنائهما، بحيث تربطهما مشاعر من المودة وليس مجرد سـلطة الأعلى على الأدنى.

وفي هـذه الصداقـة والمودة توجـد الثقـة والمصارحـة فيسـتطيع الابن أن يفتـح قلبه لوالديه ويحدثهما بصـراحة عما في داخله ويكشـف مشاكله وحروبه الروحيـة دون أن يخشـى عقابًا أو توبيخًا أو فقدانًا للثقة به. بل يطلب المشورة والإرشاد ولا مانع من الحوار لا بلون من المجادلة والكبرياء بل للتوضيح وبحث كل وجهات النظر معًا.

وفي كشف الابن لأخطائه يكون واثقًا أن أبويه سوف لا يعايرانه بها أو يغيران معاملتهما له بسببها.

* وبعلاقة المصارحة هذه وفي جو المصادقة والمودَّة يثق الابن أن والديه يتصـفان بالموضوعية وليس بالانفعال فهما يسـمعان في هدوء كل ما يقوله عن أخطائه ومشاكله دون أن يثور أي منهما أو يتضايق أو يشـتد في لوم الابن أو إيلامه، بل يرشـده إلى ما يجب عليه في إقناع وبهذه المعاملة يمكن للابن أن يقتنع بمحبة والديه وحكمتهما، ولا يخفي عنهما شيئًا، ويتخذهما كمرشدين.

* على أن جو المصادقـة بين الأبناء والأبوين لا يمنع احترام الأبناء لهما سواء من الناحيـة الدينية التي تأمر بإكرام الوالدين والخضوع لهما أو من الناحية العملية أيضًا ثقةً بحكمتهما ومحبتهما وحسن إرشادهما.

* وبالرغم من كل ما قلناه عن الصداقة والمودة بين الوالدين وأبنائهما، نقول أيضًا إن بعض أخطاء الأبناء تحتاج إلى عقوبة إن كانت فادحة أو مقصودة، بينما أخطاء أخرى يكفيها مجرد التنبيه أو التوبيخ أو إظهار عدم الرضا عنها، أو الإرشاد أو الإنذار بالعقوبة إن تكرر الخطأ.

* والعقوبـة لازمـة أحيانًا لأن كثيرين لا يشـعرون بفداحـة الخطأ إن لم يعاقبوا وبدون العقوبة قد يسـتمر المخطئ في أخطائه، وقد يصـل إلى حد الاستهانة والاستهتار والله تبارك اسمه على الرغم من رحمته ومحبته للبشر قد عاقب كثيرين شعوبًا وأفرادًا وأنذر بعقوبات.

* وهنـاك أنـواع من العقوبـة يسـتخدمها الآبـاء والأمهـات، فـالبعض قـد يمنع عـن ابنه شـيئًا من المصـروف، أو الهـدايا أو يمنعه عن بعض الترفيهات أو المشهيات أو الزيارات التي يحبها

أو يمنعه عن اللعب أو عن بعض الصداقات.

على أن بعض الآبـاء قـد يلجـأ في العقوبـة إلى أسـلوب من العنف وجرح الشـعور، مثـل الضـرب والشتيمـة! وهـذا بلا شك أسـلوب غير روحي، وقد يأتي بنتائج عكسية إن كان منهجًا مستمرًا.

* على أن البعض قد يسـتخدم في العقوبة أسـلوب المخاصـمة أو المقاطعة فتستمر الأم مثلًا فترة طويلة لا تكلم ابنها ولا تستمع إليه، ولا ترد عليه إن كلمها أو تتجاهله باستمرار.

وفي نفس الوقت تغيظه بمعاملة أخوته بلطف وقد تطول فترة المخاصمة، ويبدو الموضوع بلا حل!

* ولا شك أن المخاصـمة أو المقاطعة لها أضـرارها فهي إجراء سـلبي وليست حلًا لإشكال ويكون فيها الابن وبخاصة لو كان صغيرًا في وضع عاجز عن التصرف ولا يعرف متى تنتهي هذه المخاصمة؟! وكيف؟ كما أنها لا تعطي مجالًا للتفاهم أو الحوار.

وإن طالت يزداد الأمر تعقيدًا ويبدو أن هذه الوسيلة كعقوبة لا تصلح إلا إذا كانت لدقائق أو ساعات يعقبها عتاب.

* المهم في العقوبة أن تكون ذات نتيجة طيبة في تقويم الابن، ولا تكون مجرد تنفيس عن غضب مكبوت أو إراحة لأعصاب متوترة.

والوالـدان الحكيمـان لا يهـددان إنمـا يتصـرفان بحكمـة تجمع بين الحب والحزم وبين العقـاب والعلاج فيكون العقـاب هـدفه الإصلاح وليس لمجرد المجازاة، وبحكمة يعرف سبب العقوبة، وهل يصلح؟ ولأي مدى.

*** وللعقوبة شروط** والشـرط الأول منها أن يعرف الابن أنه قد أخطأ وأنه يسـتحق العقوبة لذلك ينبغي توضـيح الموقف له وشرح نوعية الخطأ الـذي وقع فيه ونتائجه على أن يقتنع بـذلك. لأنه إن لم يـدرك أنه قـد أخطأ سيشـعر أنه قـد وقع تحت ظلم وأن سـلطة الوالـدين تستخدم بطريقة عشوائية وبدون حق وهذا الشعور يضره ويتعبه.

* يجب إقناعه أيضًا بأن العقوبة نافعة له لتربيته وعليه أن يتذكر أنه فعل ما لا يليق وربما قد أساء إلى سمعة الأسرة وقدم أمثولة سيئة لأخوته الذين قد يقلدونه في حالة عدم معاقبته مع إشعاره أن العقوبة لا تتعارض مع محبة والديه له.

*** ومن شـروط العقوبـة أن تكون على قدر الاحتمال على قدر ما يسـتحق الخطأ من جهة، وعلى قدر ما يحتمل المخطئ من جهة أخرى**، ويراعى في العقوبـة شـعور الابن الحساس والابن الصـغير الذي قد تصدمه العقوبة والابن المحتاج إلى حنان لظروف خاصة ويراعى أيضًا عامل السـن، وعامل الجهل أحيانًا.

*** وتكون العقوبة لوقت محدد تنتهي بعده،** لأن بعض الآباء إذا غضـبوا مرة على أبنائهم يكون غضبًا مستمرًا لا يعرف متى ينتهي؟! وإن منعوا الابن عن شـيء لا يعرف متى ينتهي المنع؟ وهذا خطأ بلا شك والله نفسه كان يعاقب ثم يعفو ويغفر.

وينبغي أن تكون العقوبـة على أسـاس ثـابت من المبـادئ والقيم فلا يعاقب الابن عن شـيء من المفروض أن يبتعـد عنه، ثم يصـرح له بذلك الشـيء في وقت آخر!! وهكذا لا يدرك الحكمة في المنع والمنح!

*** ومن شـروط العقوبة أن تكون لونًا من العلاج**، وتؤدي إلى ذلـك، وأن يفهم الابن بها أنه غير مغضوب عليه. وإنما الغضب هو على الخطأ.

---

1. مقال لقداسـة البابا شنوده الثالث نشر في جريدة الأهرام بتاريخ 2-11-2008م